حمارى الاســـود الصغير

للكاتب الايرلندى يادريك اوكونير

بقلم الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

حدث ذلك فى كنفارا عندما تعرفت على حمارى الأسود الصغير . كان ذلك اليوم يوم السوق . فرأيته واقفا بجوار حاجز لا يبالى بالعالم ، ويبالى العالم به . وأعجبت به منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناى عليه . وكنت فى رغبة للحصول على حمار . فقد كنت متبرما من التجول على قدمى . ألا يكفى هذا الرفيق الصغير ليحملنى وحقيبتى وحاجاتى ؟ وفكرت : لعلى أستطيع الحصول عليه بثمن بخس .

ثم سألت عن صاحبه : بيد أنى نقبت عنه فى كافة أرجاء البلدة قبل أن أجده يتسكع أمام دار العمدة . كيف ! يبيع الحمار ؟ ، ولماذا لا يبيعه مادام أنه سيحصل على ثمنه ؟ نعم ثمنه انه لا يرغب فى قرش زائد عن ثمنه . لولا هذه الأيام العجاف لما فارقه عنه مطلقا ـ لا لا خوف منه ! انه حمار صغير جميل يستطيع أن يقطع فى سهولة عشرين ميلا يوميا . لو استطاع أن يطعمه الشوفان مرة واحدة فى الشهر ، فلن يفوقه أى جواد — نعم ، لا يفوقه أى جواد !

وجعلنا نتباحث فى طباع الحيوان . وما أبرع مدح صاحبه ! ليس هنا حمار ، منذ أن حلت الحمير بايرلندا ، فى مثل نشاط هذا الحمار ، وعقله وبعد نظره !

وقال لى ذلك الأستاذ — فى المديح « أتعرف عاداته ؟ إذا أعطيته حفنة من الحبوب صباحا ، فانه يحتفظ ببعضها عندما لا تكون هناك حبوب — بحق كتب روما السماوية انه يفعل ذلك » وهنا ضحك أحد الموجودين ، فواجهه الرجل قائلا « ما الذى يضحكك أيها الأبله ؟ » ثم قال لى « أليس من العقل ان يحتفظ بجزء من طعامه ؟ ألم يحدث لى فى بعض الأحيان أن أكون فى حالة عسر فأسطو على طعامه ؟ لو لم يكن هذا الحيوان ات جوعا أنا وأولادى الاثنا عشر »

وسألت فى حذر : هل فى استطاعة هذا الحمار العاقل أن يميز بين حنطة صاحبه وحنطة جيرانه . فأجاب الرجل « أنه أمين أمانة الكاهن . لو كانت كل الحيوانات مثله ، لما كانت هناك حاجة إلى تشييد حواجز أو حفرات أو أسوار . لم تكن هناك حاجه إلى كل ذلك مطلقا . »

وتكاثر حولنا جمع غفير ، وكان من بينهم أولاد الرجل ، ولا أدرى أكانوا الاثنى عشر جميعا موجودين . بيد أن من كان موجودا منهم لا تجد له مثيلا فى أية بقعة من بقاع ايرلنده . كانوا مهللى الثياب قدرين كل واحد منهم يفوق أخاه فى سوء السلوك . وكانت زوجته واقفة هناك ، عارية القدم ، بلا قبعة .

وقالت له « أتذكر يا بيتر اليوم الذى سبح فيه فى النهر وأنقذ ميكلين عندما جرفه التيار ؟ »

فأجاب « وكيف لا أذكره ؟ نعم ياشابى ، أتذكرين اليوم الذى دفع لى فيه مبلغ خمسة جنيهات ؟ » فالتفتت إلى قائلة « خمسة جنيهات . نعم لقد وضعوا فى يده خمسة جنيهات ذهبية » فقاطعها الرجل قائلا « أقسم لك أن هذا ما حدث ! لقد كادت الصفقة تتم . وكانت النقود فى يدى — » .

فقاطعته زوجته بدورها « ولكنه عندما شاهد الحمار المسكين يذرف الدمع لأنه سيفترق عنه ، لم يطاوعه قلبه على بيعه ، والابتعاد عنه » فصاح زوجها « صه ! تكلمى فى هدوء . فلا توجد كلمة تقال إلا وفهمها . ألا ترى ياسيدى أذنيه الواقفتين ؟ »

وبدأت الشراء بجنيه واحد ثمنا لهذا الحيوان البديع . فعوى الرجل قائلا « جنيه ! » وصرخت امرأته « جنيه ! » وهدر الأولاد فى صوت واحد « جنيه ! » .

كم كانت دهشتهم اوتجمعوا حولى يتفحصوننى . وأمسك صبى بسترتى وآخر بسروالى وأمسكنى أصغرهم من عنق . ووضعت فتاة يدها فى جيب سترتى . كانت المخلوقة بطيئة الحال تحاول أن تبحث إذا كنت حقا أمتلك جنيها — بيد أنها حصلت

على ضربة على أذنها بدلا من الجنيه — ولم تكن الضربة من والدها .

* * *

كنت قد أعجبت بالحمار اعجابا شـــديدا . فقد كان وفق ما أشتهي . انه سيحملني في طريق . ثم أستطيع بيعه في أي وقت إذا ما شعرت بالضجر منه .

وقلت مرة أخرى « جنيه » .

فأجاب الرجل « جنيهان » .

واعولت المرأة وهي تقول « اواه ! اواه ! حماري الجميل يباع بجنيهين » وانفجرت تنشج في بكاء وعويل .

والتحق قائلا « جنيه » .

فقال الرجل « إذن جنيه — وست بنسات لكل طفل » .

وتمت الصفقة أخيرا . وناولته الجنيه . وأعطيت ست بنسات لكل طفل من أطفاله المصطفين حولي . وجعلت المرأة تستدعيهم ستين ، ندين ، ثلاثين ، وغيرهم ممن لا أذكرهم .

ولم يبق واحد من المتسولين لم يستحضر أولاده .. كانوا جميعا يهددون ويصرخون . وكم من الضوضاء أثاروا ! اشتكى احدهم أنه لم يستلم البنسات الستة مع أن النقود كانت في هذه الآونة تحت اسنانه . وقال آخر —

ولكن لم يكن أحد بي ما الذي يقوله الآخر ، أو ما يحاول أن يقوله . فقد كان ضجيجهم يطغى على كل شيء .

وندمت لأني لم أدفع للرجل جنيهين في بادىء الأمر . وبذلك كنت اتجنب هؤلاء الحاضرين الذين كونوا عائلة لانهاية لها .

وأخيراً تركت القرية وحالي حال . كنت ممتطيا الحمار ، وقد ســـار على يمينه صاحبه قابضا على مقوده ، ومشت زوجه على يساره ، والأولاد يصخبون حولنا .

وتبعنا بعض صبية القرية ، كل منهم يزودني بنصائحه . ان الحمار لا يقارنه أسرع جياد السبق ، ولذلك يجب أن أكون متيقظا وإلا أفلت مني واختفى إلى الأبد . يجب أن أعطيه كذا وكذا من أنواع الطعام . وهكذا كان يخيل للرائي كأنما الحشد لم يسبق له أن رأى ما يضحك عليه ، إلى أن شـــاهدني ممتطيا حماري الأسود الصغير .

ولكن لماذا أهتم ؟ ألم أحصل على الحمار — الحيوان الذي كنت أود الحصول عليه منذ أيام عديدة ؟ كيف أستطيع أن أصف مشهد افتراق والحمار عن هـذه الشرذمة . كان كل واحد منهم يشد على يدي تسع مرات . وأخذوا مني عهدا بأن أكون لطيفا معه وشفيقا عليه . وأن أهبه قبضة من القمح كلما استطعت ، وأعطيه حفنة من الشعير كل ليلة . وأقسمت لهم الا اســتعمل مطلقا ، المهمـــا معه . وعندما افترقنـــا ارتفع عويلهم بدأه الأب وساعدته الأم وشاركهما الأولاد حتى أصبحت الغابة حولي تعج ببكائهم ... وأخيرا أصبحت وحيـــدا — وحيدا مع حماري الأسود الصغير . ؟

ثم انطلق يعدو بي إلى أن خلفنا الغابة . وعندئذ شعرت بأني قد قمت بصفقة طيبة . أين يستطيع المرء أن يجد حمارا في مثل نشاط حماري الأسود الصغير ؟

بيد أنه عندما ابتعدنا عن الغابة ، حدثت قصة أخرى . إذ لم يقبل الحمار التحرك خطوة واحدة ، ذلك الحمار الفريد ! وظننت أنه قد يلين إذا ما دللته بعبارات متملقة ، فلم يأبه بي . وفكرت أن أحركه بعصا فلم يتحرك ، بل ظل واقفا هناك وسط الطريق .

ومر علينا الناس الذين كانوا في الســوق ، أقبلوا في حال من البهجة . فنصحوني أن أفعل كذا ، وأصنع كذا . بيد أنه عندما نصحني مازح منهم أن أضع الحمار على ظهري ، فرغ صبري ، وقذفت ذلك الوقح بالحجارة :

وأخيرا ، اضطررت أن أترجل وأسحب الحمار في الطريق رغما عن أنفه . وما أكثر الشتائم التي أمطرتها على ذلك اللص الذي باعني هذا الوحش اللئيم !

ولكن سرعان ما لاحظت ظاهرة غريبة . رأيت أن الحمار في حالة عصبية ، وبدا لي أنه يجفل من تلاعب الريح بالأفنان . فعندما مر تحت أذرع الشجر النامي على جانبي الطريق ، تلاشى كمده ، وأصبح من المتعذر كبح زمامه ، وقفت أذناه في بادىء

الأمر ، ثم هز نفسه كما يفعل الكلب عند ابتعاده عن الماء ، ثم انطلق كأنه الزوبعة

يا لحظي ، لقد كشفت سره .

وقيدته على باب كوخ ثم ذهبت إلى الغابة ، وانتزعت كمية من الحشائش وأوراق الشجر ، وكونت منها حزمة ، ثم وضعتها على مقربة من عنقه ، فوق أذنيه .

يا للحيوان المسكين ! إنك لن ترى له مثيلا في سرعته عندما عدا . فقد كان يظن ، بسبب ما يسمع من موسيقى منبعثة فوق أذنيه ، أنه لا يزال في الغابة . وعندما وصلنا إلى باليفهان ، قامت القرى لتشاهد الأعجوبة — أنا وحماري الصغير الأسود المتحلي بتاج من أوراق الشجر .

* * *

اني لاأزال أملك ذلك الحمار الأسود الصغير ، وسأظل أحتفظ به مدى الحياة . لكم رحلنا أميالا طويلة في الطريق الموحشة ، وفي مختلف الأجواء . وكان يهتدي إلى طريقه في مهارة ، مع أن سيده للاسف قد فشل في ذلك . واني اعتقد ان التشرد الصغير كان يعرف ان سيده ليست له المقدرة على الاهتداء . ولكنك لن تشاهد مثل كبريائه عندما ابتعت له مركبة خضراء جميلة وعاد المخلوق المسكين اصغر سنا مما كان ، منذ ان قيدته بالمركبة .

محمد فتحي عبد الوهاب

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة في ابتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فاولت اهتماما خاصا بمحطاتها فنسقتها وعرضت حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى اقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الاعلان فيها بأسعار غاية في الاعتدال

هذا فضلاً عن المطبوعات والنشرات المختلفة التي تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الاعلان في تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته

ولزيادة الاستعلام خابروا — قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر